

البيمارستان النوري بحلب ووقفه

د. محمد مطيع الحافظ*

تعد الوثائق الوقفية بأشكالها المتعددة - كالوقفيات في الصكوك أو على جدران المباني - من أهم الموارد العلمية والتاريخية لمعرفة الحياة الحضارية الإسلامية. فنجد فيها بياناً لقيمة المنشأة مادة وكيفية، إضافة إلى معرفة مصارف الوقف والجهات المستفيدة من ريعه، وتعدّ أيضاً مصدراً كبيراً للمؤرخين والباحثين في خطط المدن، وللدارسين في الحياة الدينية والأمور الاقتصادية، والوظائف الرسمية.

لقد كان للعهدين الزنكي والأيوبي، ومن بعدهما العهد المملوكي الأثر الكبير في إنشاء المدارس والمساجد والبيمارستانات والجسور والقلاع والأبواب للمدن في بلاد الشام وغيرها.

ومن أجل استمرار العطاء وإنجاز المهمات المطلوبة أوقف الحكام الأوقاف الكثيرة لتؤدي هذه الصروح دورها على خير ما يمكن تحقيقه.

من هؤلاء السلاطين الذين كان لهم الدور الكبير في إنشاء هذه المراكز العلمية والدينية والطبية السلطان نورالدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد المتوفى سنة ٥٦٩هـ.

وأثّاره في دمشق وحلب وغيرهما خير دليل على عظمة هذا السلطان الكبير، وكانت أعماله المتعددة وسائل لتحقيق أهدافه في نشر السنة ومحاربة البدعة، وإقامة شعائر الإسلام، وتقديم العون للفقراء والمحتاجين وذلك لتقوية المجال الداخلي للأمة، ومن ثمّ النصر على المعتدين والمغتصبين.

فأنشأ في دمشق عاصمة مملكته البيمارستان النوري، وبنى دار الحديث النورية والمدارس العلمية والأسوار والأبراج والأبواب حماية لها من الأعداء، وبنى في حلب البيمارستان النوري وغيره، وأقام المنشآت الكثيرة في أكثر المدن.

(*) رئيس المصحف الشريف، دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدبي، الإمارات العربية المتحدة.

وكان من أوقاف البيمارستان النوري الذي أوقفه على الفقراء والمحتاجين، وأوكل النظر في أمر وقفه إلى ناظر صالح يرفع شأنه ومتطلباته، وكانت المرضى التي ترد إليه كثيرة، ونفقاته كبيرة، ولهذا اختار له أكابر الأطباء، وبذل بسخاء لوقفه.

وأثناء بحثي قبل عشرين سنة تقريباً في قسم التصوير في المكتبة الظاهرية وجدت صورة لوقفية البيمارستان النوري بحلب، فنقلتها بدقة واحتفظت بها لنشرها. وقد وجدت في مجلة أوقاف التي تعنى بهذه الموضوعات خير وسيلة لتحقيقها ونشرها ضمن أبحاثها المفيدة، فقامت بذلك وقدمت لها بما يفيد البحث من دراسة لها والتعريف بمنشئها، وما يحيط هذا الجانب من فوائد.

وبذلك تظهر أهمية هذا البيمارستان الذي ما يزال محتفظاً ببنائه الذي يحتاج إلى ترميم وعناية ليعود فيؤدي دوره الحضاري في المستقبل.

البيمارستان

البيمارستان^(١) (بفتح الراء وسكون السين) كلمة فارسية رُكِّبَت من كلمتين: «بیمار» ومعناها مريض أو عليل أو مصاب و«ستان» ومعناها مكان أو دار، فهي إذن مكان المرضى أو دار الشفاء أو مستشفى. ثم اختصرت في الاستعمال فصارت «مارستان» كما ذكرها الجوهري في صحاحه.

وكانت البيمارستان من أول عهدها إلى زمن طويل مستشفيات عامة، تعالج فيها جميع الأمراض والعلل من باطنية وجراحية وعينية وعقلية، إلى أن أصابها الكوارث، ودار بها الزمن وحلَّ بها البوار وهجرها الأطباء والمرضى فأقفرت إلا من المجانين حيث لا مكان لهم سواها، فصارت كلمة مارستان إذا سمعت لا تتصرف إلا إلى مأوى المجانين.

وكانت أوقاف البيمارستانات على الفقراء دون الأغنياء، ولكن استثنى من ذلك بعض الأدوية التي لا توجد إلا فيها، وكان كل من جاء البيمارستان طُبيباً وأعطى شرا به، وإن كان غريباً احتفي به وقُدِّمَ إليه أحسن المأكَل.

وكان رئيس الأطباء يقوم بتدريس الطب فيه على تلامذته، ويقوم بجولة معهم على المرضى، ويفحصهم سريرياً. ثم يعود مع طلابه إلى غرفته ويجري معهم مباحث طبية. وكان في كل بيمارستان خزانة كتب طبية يرجع إليها الأطباء.

(١) تاريخ البيمارستانات في الإسلام لأحمد عيسى، ص ٤.

واقفها:

هو الملك العادل نورالدين أبو القاسم محمود بن الملك الأتابك زنكي التركي السلجوقي. كان جده آق سنقر من أتابكة السلطان السلجوقي ملك شاه، فولّاه على الجزيرة والموصل، وكان أبو زنكي (ت ٥٤١) قد ولي الموصل مكان أبيه، ثم أخذ حلب، فلما مات قسمت مملكته شطرين، فاستولى ابنه غازي (ت ٥٤٤) على الموصل، وبقي ابنه الثاني نورالدين في حلب.

وقلّ أن نجد خليفة أو ملكاً اجتمع فيه من الصفات ما اجتمع في هذا السلطان العظيم، وهذا يظهر لنا إذا دققنا في الأحوال التي كان بها، والفوضى التي وجد البلاد عليها، والأعداء التي حاربها، والبلاء الذي أبلاه، ثم الأعمال التي قام بها. ونستطيع أن نوجز أبرز صفات نورالدين فيما يلي:

أ - **عمراني:** كان ميالاً إلى العمران ترك في دمشق وحلب وحماة والموصل والمدينة المنورة وغيرها، من الآثار ما لم يتركه أحد قبله، فقد عمّر المساجد والمدارس ودور الشفاء والخوانق والجسور والخانات.

ب - **محب للعلم:** أنشأ المدارس الكثيرة لنشر العلم كعلوم القرآن والحديث والفقه، وهو أول من أنشأ داراً للحديث الشريف، وكان يكرم العلماء ويجيبهم إلى ما يطلبون.

ج - **إنساني:** أدرّ الصدقات على اليتامى والضعفاء وتعهّد ذوي الحاجة، وأنشأ دور الشفاء للمرضى والعُميان والمجانين.

د - **عادل:** أكثر في مملكته من بناء دور العدل، وحضرها هو بنفسه واستمع إلى المتظلمين والدعاوى.

هـ - **مجاهد في سبيل الله:** كان همه أن يهزم الصليبيين ويطردهم من البلاد، لتكون البلاد موحدة كلها. واستطاع أن ينتزع منهم مدناً وحصوناً كثيرة.

و - **زهده وعبادته:** قال فيه أبو شامة: إنه كان مع سعة ملكة وكثرة ذخائر بلاده وأموالها، لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف فيما يخصه إلا من ملّك كان قد اشتراه من سهمه من الغنيمة، وكان يصلي كثيراً من الليل، ويدعو ويستغفر ويقرأ، ولا يزال كذلك إلى أن يركب.

قامت دولة نورالدين منذ وفاة والده سنة ٥٤١هـ حتى وفاته بدمشق سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م^(١). وكانت ولادته بحلب سنة ٥١١هـ.

(١) مصادر ترجمته: الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي ٢١/١ وما بعدها، الكامل لابن الأثير ١٥٥/١١، الكواكب الدرية في السيرة النورية لابن قاضي شهاب، وفيات الأعيان لابن خلكان، الأعلام للزركلي ١٧٠/٧.

قال الشيخ محمد راغب الطباخ^(١) في الدر المنتخب^(٢): البيمارستان النوري: بناه الملك العادل نورالدين محمود داخل باب أنطاكية بالقرب من سوق الهواء - في محلة الجلوم^(٣) الكبرى في الزقاق المعروف الآن بزقاق البهرمية - يقال: إن الملك العادل نورالدين تقدم إلى الأطباء أن يختاروا من حلب أصح بقعة صحيحة الهواء لبناء البيمارستان بها، فذبحو خروفاً وقطعوه أربعة أرباع، وعلقوها بأرباع المدينة ليلاً، فلما أصبح وجدوا أحسنها رائحة الربع الذي كان في هذا القطر، فبنوا البيمارستان فيه، ووقف عليه قرية معراتا، ونصف مزرعة وادي العسل من جبل سمعان، وخمسة أفدنة من مزرعة كفر نايا، وثلاث مزرعة الخالدي وطاحونها من المطخ، وثمان طاحون أعربية ظاهر باب الجنان، وثمانية أفدنة من مزرعة أبو مدايا من عزاز، وخمسة أفدنة بمزرعة الحميرة من المطخ، واشي عشر فداناً من مزرعة الفرزل من المعرة، وثلاث قرية بيت راعل من الغريبات، وعشرة دكاكين سوق الهواء هو الآن معروف بسوق الكمرك، منها ثلاثة تمام، والباقي شركة الجامع الكبير، وأحكار ظاهر باب أنطاكية، وباب الفرج وباب الجنان. أهـ.

أقول: [أي الشيخ محمد راغب الطباخ]: هو الآن^(٤) خراب لم يبق منه سوى بابيه وجدران أطرافه يأوي إليه الفقراء من الغرباء، ومن الغريب أن معتمد إيطاليا «أدولف صولا» عمّر فوق باب البيمارستان المذكور قنطرة، جعل طرفها تحت أطراف قصر داره التي هي تجاه البيمارستان المذكور، حفظاً للقصر، وذلك منذ خمس عشرة سنة، وكان ذلك في ليلة واحدة، ولم ينتطح لذلك عنزان، غايته أن المتولي على البيمارستان رفع الأمر إلى الحكومة وإلى المجلس البلدي، فلم يلتفت إليه، وكأن الحادثة لم تكن فله الأمر، إلا أنه بعد ذلك ابتلي بالأمراض والأسقام ولم يطب عيشه إلى أن مات.

وقال الأستاذ كامل البالي^(٥) الحلبي الشهير بالغزي: البيمارستان النوري: هي لصيق البهرامية من جنوبها الشرقي، بناه نورالدين محمود بن زنكي، وقد تقدم إلى

(١) أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. تأليف محمد راغب الطباخ. تحقيق محمد كمال، دار القلم بحلب ٦٨/٢. الطبعة الثانية، وأما الطبعة الأولى ففي سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م.

(٢) الدر المنتخب في ذيل بغية الطلب. تأليف ابن خطيب الناصرية المتوفى سنة ٨٤٣هـ (كشف الظنون ٢٤٩/١).

(٣) جلوم: من أحياء حلب القديمة، كانت تنفذ إلى ظاهر المدينة بباب أنطاكية غرباً وباب قنسرين جنوباً، ثم أقيم بين هذين البابين ثغرة دعيّت خراق الجلوم. (حلب: القديمة والحديثة) تأليف عبدالفتاح رواس قلعي ص ١٤٤.

(٤) أي في سنة ١٩٢٣م، تاريخ طباعة كتابه أعلام النبلاء.

(٥) نهر الذهب في تاريخ حلب. تأليف كامل البالي الحلبي الشهير بالغزي ٥٣/٢، تحقيق د. شوقي شعث، والأستاذ محمود فاخوري، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م.

الأطباء أن يختاروا من حلب أصح بقعة هواء، فذبجوا خروفاً وقطعوه أربعة أرباع، وعلّقوها بأربعة أرباع المدينة ليلاً، فلما أصبحوا وجدوا أحسنها رائحة ما علّق منها في هذا الربع فبنوا البيمارستان فيه مكتوب نجفة بابيه أنه عمّره نورالدين بتولي ابن أبي الصعاليك، وكان فيه قاعة للنساء مكتوب عليها: «عمّر هذا المكان في دولة السلطان صلاح الدين: يوسف ابن عبدالعزيز محمد بتولي أبي المعالي محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم ابن العجمي الشافعي في شهر رمضان سنة ٦٥٥هـ».

وعلى إيوان فيه أنه عمّر في أيام الأشرف شعبان، وأن هذا الإيوان وقاعة النساء الصيفية أنشأهما سبط ابن السفاح.

وعلى بابيه أنه أحدث سنة ٨٤٠هـ على يد الحاج محمد المارستاني. وكانت قاعة المنسولين سماوية فسقفها القاضي شهاب الدين بن الزهدي.

وقف نورالدين على هذا البيمارستان قرية معرايا ونصف مزرعة وادي العسل من جبل سمعان، وخمسة أفدنة من مزرعة كفر نايا، وثلاث مزرعة الخالدي، وطاحونها من المطخ، وثمان مزرعة عريبة ظاهر باب الجنان، وثمانية أفدان من مزرعة أبي مدايا من عزاز، وخمسة أفدنة من مزرعة الحميرة من المطخ، وأثني عشر فداناً من مزرعة الفرزل من المعرة، وثلاث قرية راعل من الغريبات، وعشرة دكاكين بسوق الهواء منها ثلاثة بتمامها، والباقي شركة الجامع الكبير، وأحكاراً ظاهر باب أنطاكية، وباب الفرج وباب الجنان.

نقل ابن حجر بعض كلمات في تقرير هذا البيمارستان لعلاء الدين أبي الحسن علي الحنبلي فأحببت نقلها وهي: «وصفت مشارب الضعفاء بعد الكدر، وسقاهاهم ربهم شراباً طهوراً» وتلى لمن سعى لهم في ذلك، وجزي بالخيرات «وكان سعيهم مشكوراً» ودار شرب العافية على تلك الحضرة بالطاس والكاس، وحصل لهم البر، من تلك البراني التي «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس» ودبت الصحة في مفاصل ضعفائهم وقيل لهم «جوزيتم بما صبرتم» وامتدت مقاصيرها «وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم».

أقول: (أي الشيخ كامل الغزي) هذا البيمارستان في أيامنا^(١) معطل مائل للخراب، بل بداخله خراب قد صارت حجراته تلالاً، ولم يبق منها إلا بعض حجر متشعثة متوهنة،

(١) أي سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م وهو تاريخ طباعة الكتاب.

يسكنها بعض العبيد العتقاء، وقد استولى بعض الناس على قطعة عظيمة من جهته الجنوبية، وأدخلها في العمارة المعروفة بالباكية^(١)، وقد ضاعت أوقافه، ودخل بعضها في أوقاف الجامع الكبير.

مكتوب على بابه: (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمله المولى الملك المالك العادل المجاهد المرباط الأعز الكامل صلاح الدنيا والدين قسيم الدولة، رضي الخلافة، تاج الملوك والسلطين ناصر الحق بالبراهين، محيي العدل في العالمين، قانع الملحين، قاتل الكفرة والمشركين: أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر أمير المؤمنين أدام الله دولته بمحمد النبي وآله، بتولي العبد الفقير إلى رحمة مولاه: عتبة بن أسعد بن الموصلي). قال محققا هذا الكتاب: د. شوقي شعث، والأستاذ محمود فاخوري في حاشية هذا الكلام: البيمارستان النوري: خراب اليوم لم يبق منه إلا واجهته، وتقوم مديرية الآثار اليوم بدراسته من أجل ترميمه، ويعتبر البيمارستان من أقدم البيمارستانات في العالم الإسلامي، كما تعتبر واجهته من أجمل الواجهات المعمارية في العالم الإسلامي.

وقال الأسدي في موسوعته^(٢):

ولم يبق من مارستان حلب إلا مارستانان:

- ١ - مارستان النوري في شارع الشيخ عبدالله في الجلوم وهو حطام.
 - ٢ - مارستان أرغون الكامل في حي باب قنشرين أمام خان القاضي وهو سليم.
- وقال الأستاذ عبدالفتاح رواس قلعه جي^(٣) في كتابه حلب:

وفي الجلوم البيمارستان النوري لصيق البهرامية بناه نورالدين محمود بن زنكي في منتصف القرن الثاني عشر للميلاد، ثم جدد في القرن الخامس عشر، وكان قربه خانقاه أنشأتها صاحبة فاطمة خاتون بنت الملك العادل.

فوائد عن البيمارستان النوري بحلب:

- ذكر ابن الحنبلي^(٤) في ترجمة: أحمد المشهور بابن القاضي عبدالله، الحكيم: وكان بيده في دولة الجراكسة (المماليك) تولية الكاملة، والبيمارستان النوري بحلب، وبها توفي سنة ست وعشرين وتسع مئة.

(١) ربما يقصد البايكة وهي ما يشبه قاعة كبيرة للدواب.

(٢) موسوعة حلب المقارنة لخيرالدين الأسدي ج٧/٨٠، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، مطبعة جامعة حلب.

(٣) حلب القديمة والحديثة. تأليف عبدالفتاح رواس قلعه جي، ١٤٧، ١٥٠.

(٤) در الحبيب في تاريخ أعيان حلب ١/٢٣٤.

- وذكر أيضاً^(١) ابن الحنبلي في ترجمة: أويس بك ابن عبدالله الحنفي الدفتردار بديار العرب: كان عالماً فاضلاً متواضعاً، ولي مناصب كثيرة، وعمل في البيمارستان النوري بنور الله تعالى، حيث فتش على متوليه، فأخرج عليه أكثر من مئة دينار سلطاني، مع ما في البيمارستان من المواضع الخربة، ثم أمر بعمارتها من ذلك المال. توفى سنة تسع وأربعين وتسع مئة.

- وذكر أيضاً في ترجمة محب الدين عبدالباسط بن محمد بن محمد ابن الشحنة الحنفي: نزل له والده عن وظائف يكون له فيها كل يوم نحو مئة وخمسين درهماً منها: الخطابة بالجامع الأموي بحلب، ونظر الكلتاوية، ونصف نظر البيمارستان النوري. توفى سنة ثلاث وتسع مئة.

- وقال أيضاً^(٢) في ترجمة هاشم ابن السيد ناصر الدين السَّروجي الأصل، الحلبي، الحسيني. رئيس الطب بالبيمارستان النوري: كان حسن المعالجة، كثير الرعاية للضعفاء من الفقراء، منقاداً إلى من يطلبه، وكان ممتازاً بالكحالة. توفى سنة أربع وستين وتسع مئة.

الأقسام الرئيسية التي تضمنتها وثيقة الوقفية:

- أ - مقدمة فيها براءة استهلال تتضمن بياناً بأن المقصود هم المرضى والفقراء في وقفية البيمارستان النوري بحلب، ثم تأكيد على أجر المتصدقين وخاصة في معالجة المرضى.
- ب - ذكر اسم القاضي الذي اعتمد هذه الوثيقة ووضع ختمه عليها في عدة أماكن من الوثيقة. وهو القاضي أمير حسن بن سيد سنان.
- ج - اعتماد القاضي المذكور لكل ما جاء فيها من وقفيات واستبدال...
- د - تحديد مكان البيمارستان المذكور وهو في باب أنطاكية بمحلة الجلوم بالقرب من سوق الهوى.
- هـ - تعداد لأوقاف البيمارستان، مع تحديد مقدار كل أرض أو دار أو دكان أو بستان، وموقع كل منها وما يحده من الجهات الأربع.

(١) المصدر السابق ١/٢٢٥-٢٣٠.

(٢) المصدر السابق ١/٧٣١.

- و - مهمات ناظر الوقف على البيمارستان.
- ز - التأكيد على الالتزام بالوقفية وما نصت عليه من غير تبديل ولا تغيير ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٨١).
- ح - تاريخ توثيق الوقفية في شهر جمادى الآخرة سنة ٩٥٩هـ.
- ط - توثيق الوقفية من المفتي والقاضي وشهود الحال.
- ي - ملحق بالوثيقة: نص استبدال جميع القاسارية الكائنة بمحلة ظاهر باب النصر، ووصف لهذه القاسارية، وإقرار القاضي والشهود في سنة ٩٩١هـ.

الفوائد التي نستخلصها من دراسة الوثيقة:

- ١ - البيمارستان النوري بحلب كان يقوم بمهامه بشكل جيد ومتميز حتى القرن العاشر.
- ٢ - معرفة العقارات الموقوفة على بيمارستان نورالدين بحلب حتى القرن العاشر.
- ٣ - معرفة اسم المفتي لحلب في تلك الفترة وهو: نصوح خليفة بن يوسف.
- ٤ - التوصل إلى اسم القاضي الشرعي كذلك وهو أمير حسن بن سيد سنان.
- ٥ - الناظر على الوقف المذكور هو: محمد جلبي.
- ٦ - أسماء عدد من المدرسين: السيد كاسم بن السيد ناصرالدين المدرس بالمدرسة السعيدية، عبدالقادر بن أحمد وكمال الدين متولي الحرمين، ونصر الله المدرس بالمدرسة العسرونية، وحسن خليفة المدرس بالمدرسة الأرغونية.
- ٧ - حرر هذه الوثيقة محمد بن عمر المرعشي.
- ٨ - شهد على ذلك عدد من الشهود منهم محمد بن إبراهيم بن الحنبلي والحسين بن عمر النصيبي، وعدد من التجار.
- ٩ - التعرف إلى بعض من خطط حلب وذلك في التعريف بالعقارات وأماكنها من حارات وما جاورها من مساجد ومدارس...
- ١٠ - المهمات التي يجب أن يقوم بها ناظر الوقف على البيمارستان، من أهمها:
 - أ - اختيار الأطباء واختبارهم.
 - ب - سؤال المرضى عن أحوالهم وعلاجهم وشكاياتهم.
 - ج - حفظ المرضى من البرد في الشتاء، ومن الحر في الصيف.

- د - تطهير بدن المرضى من الدرن والأوساخ.
- هـ - تفقد المرضى وسؤالهم عن حالهم كتفقد الوالد لولده.
- و - تجهيز الموتى النازلين في البيمارستان بما يليق بكل واحد منهم.
- ز - مراقبة صناعة الأدوية من شراب ومراهم ومعاجين وأكحال.

نص الوقفية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شَرَّفَ بقاع الأرض بعبادته، وَفَضَّلَ بعضها على بعضٍ بحلول أهل طاعته. (وجعل منها ما هو مأوى الفقراء المنقطعين إلى الله تعالى)^(١). ومنها ما كان هو مضجعا للضعفاء في أرجائه، فمنهم من حكم عليه بالوفاة، ومنهم من حكم بتأخيرهِ إلى أجل مسمى على وفق حكمته.

نحمده ونشكره على ما أولانا من نهاية هدايته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص في شهادته، ومتَّبِعَ رشدَه في الدارين في ابتداء..^(٢)، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المخصوص بكرامته، والمبعوث إلى كافة الأمم برسالته، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعترته، وسلَّم تسليماً كثيراً وبعد:

فإن الصدقة من أعظم القربات^(٣) المقرَّبة إلى الله تعالى، لا سيما وقف يُتَوَصَّلُ به إلى حياة النفوس، في المقام المأنوس.

ولما كان الأمر مفضياً إلى حصول الأجر والثواب، ومؤدياً إلى اكتساب الحق والصواب، بادر مولانا أعلم علماء الأنام، مميز الحلال عن الحرام، أسوة مشايخ الإسلام، قدوة الحكام، أدام الله أيامه الزاهرة، وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة، الحاكم في الأمور الشرعية بولاية حلب المحمية، وأذن في تحرير هذا التمسك الشرعي وإنشائه، جامعاً لحفظ جهات وقف البيمارستان للمرحوم نورالدين الشهيد عليه رحمة الحميد، خوفاً من الضياع والكتم لوقفه، وإنَّ ذلك بعد أن رفع إليه وعرض عليه. وأشهد على نفسه الكريمة حرسها الله وحماها، وشكر في مصالح المسلمين مسعاها، احتساباً لله وابتغاء

(١) ما بين قوسين مستدرَك من هامش الوقفية.

(٢) كلمة سقطت بسبب خرم صغير في الوقفية.

(٣) فوقها ختم كتب عليه: الواثق بخالق الجنان أمير حسن بن سيد سنان.

لرضاته، متمسكاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨-٨٩):
 اللَّهُ يَقْلِبُ سُلَيْمٍ (الشعراء: ٨٨-٨٩):

إنه ثبت عنده وصحّ لديه أفاض الله نعمه عليه، أن الجاري في وقف البيمارستان المذكور أعلاه المنسوب إنشاؤه وإيقافه إلى حضرة المقام العالي، عز الإسلام والمسلمين، قاتل الكفرة والمشركين، قامع أهل الرّدة والمبتدعين، قطب دائرة الوجود، صاحب الفضل والخير والوجود، المخصوص برحمة الملك المعبود، السلطان نورالدين الشهيد محمد بن عماد الدين إسماعيل^(١) بن زنكي بن آق سنقر تغمّده الله برحمته، وأسكنه الله فسيح جناته الكائن بحلب المحروسة، داخل باب أنطاكية بمحلة الجلوم بالقرب من سوق الهوى وذلك:

- جميع القرية وأراضيها المعروفة بمعرة العوران تابع جبل سمعان، التي حدّها من القبلة، وينتهي إلى أراضي مزرعة جند بران، والفاصل بينهما أربع قباعات، ومن الشمال ينتهي إلى قرية تل جببين، والفاصل بينهما قباع.
- والمغارة وتمامه إلى أراضي قرية ريتان المصنع.
- ومزرعة باطنطين.
- وجميع النصف كاملاً من جميع مزرعة وادي العسل، تابع جبل سمعان.
- وجميع الحصة وقدرها ثمانية^(٢) أفدنة من جميع المزرعة وأراضيها المعروفة بباكدنيا تابع جبل سمعان.
- وجميع المزرعة المعروفة بأبو فضلون من جبل سمعان.
- وجميع الحصة وقدرها خمسة أفدنة من جميع المزرعة وأراضيها المعروفة بالحميرا من ناحية المطخ.
- وجميع الحصة وقدرها اثنا عشر فداناً من جميع القرية وأراضيها المعروفة بالفرزل من ناحية المعرة.
- وجميع الحصة وقدرها ثمانية أفدنة من جميع المزرعة وأراضيها المعروفة بأبومدايا^(٣) من ناحية إعزاز.

(١) لم يذكر أحد من المؤرخين أن والد نورالدين كان اسماعيل، بل إن نسبه كالتالي: نورالدين محمود بن عمادالدين زنكي بن آق سنقر.

(٢) فوق هذه الكلمة ختم كتب عليه: «الوائق بخالق الجنان أمير حسن بن سيد سنان».

(٣) كتب فوقها: «بأبي».

- وجميع الثلث كاملاً من جميع القرية وأراضيها المعروفة ببيت راعل من ناحية سمرين.
 - وجميع الحصة وقدرها الثلث كاملاً من جميع المزرعة وطاحونها المعروفة بالخالدي من ناحية المطخ.
 - وجميع الحصة وقدرها الثمن كاملاً من جميع الطاحون الكائن خارج باب أنطاكية المعروف بطاحون عريبة.
 - وجميع القطعة الأرض التي مقدارها من كتف الأزرق إلى خان السمك المحدودة قبلة بخان السمك المذكور، وشرقاً بسوق المدينة، وشمالاً بالطاحون المعروف بالجنيلات، من جملة أوقاف عمر المهمندار، والآن بيد الخوجكي، وتمامه النهر، وغرباً النهر أيضاً.
 - وجميع أراضي بستان الحرافيش الكائن ظاهر باب أنطاكية، المحدود قبلة ببستان الجميس وقف المدرسة الحلاوية ومدرسة العصرنية، وشرقاً بطريق سالك، وشمالاً بجامع الزغلي وعرصه صالحو عزباً بالنهر.
 - وجميع قطعة الأرض الحاملة لأبنية البيوت والدكاكين والعربات الكائنة بمحلة الوراقه بحلب المحروسة، التي حدّها قبلة بستان الحرافيش، وشرقاً بسور المدينة، وشمالاً بباب الجنان وسبيل الماء، وغرباً بجسر الزلاحف.
 - وجميع قطعة الأرض الكائنة بخارج باب أنطاكية، وشمالاً بجسر الباب المزبور، وغرباً بعرصه الحاج محمد، وتمامه بستان الحرافيش.
 - وجميع قطعة الأرض التي بإعزاز القائم بها أشجار تين.
 - وجميع الثلاث حوانيت بسوق الهوى بالصف القبلي.
 - وجميع الحصة وقدرها الثلثان من جميع الحوانيت الخمسة بالصف الشمالي بالسوق المزبور.
 - وجميع الحصة وقدرها الثلث من جميع الثلاثة حوانيت بسوق الهوى المذكور بالصف الشمالي.
 - وجميع الحوانيت الأربعة والمقعد بسوق الخراطين بالصف الغربي.
 - وجميع قطعة الأرض التي بخارج باب أنطاكية بمحلة الوراقه.
- وإن الجهات المذكورة أعلاه بتمامها وكمالها وقف صحيح شرعي، منسوب إيقافه إلى حضرة مولانا السلطان نورالدين الشهيد تغمده الله بالرحمة والرضوان. لم يزل بيد النظار والمتولين عليه، من قبل الفتح وحين الفتح وبعد الفتح، وإلى يومنا هذا يباشرون

القبض والصرف على البيمارستان في مصالحه، وعلى المرضى، وفي عمارته وترميمه، ولأرباب وظائفه من غير منازع ولا موانع.

وعلى الناظر في أمور البيمارستان العائد نفعه على الناس في كل زمان يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان» والبيمارستان محل علم الأبدان. والمقلد لهذا يجب اختبار الأطباء، وسؤال المرضى عن علاجهم وتدبير مزاجهم، وتدقيق النظر في مداواة المرضى ولسوف يرضى. وحفظهم في الشتاء من البرد الصالب، وفي الصيف من الحر الغالب، وفي فصل الربيع والخريف بالتدبير اللطيف، وتطهير ظاهر البدن من الدرن. كتطهير باطنه من العفن، فكم من روح أتلها سوء العلاج وانحراف المزاج.

ويجب على المقلد لهذا أن يتفقد الكبير والصغير، ويسأله عن التدبير، ويجهد في حفظ الأرواح من المهلكات، لا لأخذ توليته ونظره بالشفاعات. فالمقلد لأمره يلزم الأطباء بما هم بصده، ويتفقد المرضى كافتقاد الوالد لولده. فمن درج منهم بالوفاة يجهزه بما يليق به من دينه واعتقاده، ليجزي عليه يوم معاده.

ويشاهد بنفسه ما يعمل من الأشربة واللعوقات والمعاجين والمراهم والأكحال، وليخف من يوم لا بيع فيه ولا خلال، وإن وُجد خلل فيما فُوض إليه أمره فويل في الدنيا والأخرى له.

فمتى تم هذا الوقف ولزمت أحكامه وشروطه فهو مُحرم بحرمان الله، ومصون عن التغيير والتغير بحكم الله، بحيث لا يجوز بعد ذلك تغييره، ولا يسوغ بعارض يعرض له تبديله، بما يخالف مضمون هذا الكتاب وتعطيله بسبب من الأسباب.

ولا يحل^(١) لأحد ممن يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعلم يقيناً أنه إلى ربه الكريم صاير، من حاكم أو قاض أو آمر، تغيير هذا الأسلوب بعدما تقرر، عن نسقه المسطور المقرر. ومن تعرّض لتحويله وتغييره، وسعى في إبطاله بتزويره، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ومأواه جهنم فيسقى من حميم وغسلين.

ومن غيّر شيئاً مما ذكر في هذا الكتاب، أو عزم على نقصه أو إبطاله على خلاف الشرع المستطاب، أو قصد إلى نقصه وإخلاله بعدما وقف على أحواله فقد ارتكب المعاصي، فيجزي يوم يؤخذ المجرمون بالأقدام والنواصي.

(١) فوقها ختم كتب عليه: «الواثق بخالق الجنان أمير حسن بن سيد سنان».

وأَجْرُ الواقف المرقوم نعوته الشريفة في صدر هذا الرقيم على الحي الجواد الكريم. وليذكر المتعزّضُ له الموتَ وهجمته والنزع وحسرتة، والقبر وضجعتة، والسؤال ولكنته، وعذاب القبر وشِدَّتْه، ومكثته فيه ووحشته، والقيام وروعته، والحشر وهولته، والصراط ودقته، والحساب ومناقشتة، والميزان وخفته، والجبار جل وعلا وسطوته، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، ولا يُزَكِّي له قولاً ولا فعلاً. ﴿فَمَنْ بَدَّلْهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٨١) ومن أعان على إثباته وتقريره في جهاته، برّد الله مضجعه، وأحسن مرجعه وأَمَّن روعته، ولقَّنه حجته، وجعله من الأمناء المطمئنين الفرحين المستبشرين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ثبوتاً شرعياً وحكم بموجبه على وجه إجازة الشرع الشريف واقتفاه، وقرّره وأمضاه، وأوقع ذلك في محله بطلب فخر الأكابر والأعيان، زبدة الأفاخم والأقران: محمد جلبي العربي على البيمارستان.

وذلك في العشر الأواخر من شهر جمادى الآخر من شهور سنة تسع وخمسين وتسع مئة. والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

شهود الحال:

- فخر العلماء العظام مولانا نصوح خليفة بن يوسف المفتي بحلب المحروسة. والسيد كاسم بن السيد ناصر الدين - مولانا زكريا خليفة بن أحمد المدرس بمدرسة السعيدية - ومولانا الشيخ عبدالقادر بن أحمد - وسيدي كمال الدين بن الرغيم متولي الحرمين - ومولانا نصرالله المدرس بالمدرسة العصورنية - ومولانا حسن خليفة بن محمد المدرس بالمدرسة الأرغونية.

- ما ذكر فيه من أوقاف المرحوم الملك العادل نورالدين الشهيد على دار الشفا قد ثبت لدى مولانا الحاكم المشار إليه أعلاه، أيّد الله أحكامه، وختم بخير وأعانه على البر والتقوى. حرره الراجي عفو رب العرش، الحقير محمد ابن عمر المرعشي. عاملهما الله بلطفه الخفي.

- الحمد لله شهدت على قاضي القضاة شيخ الإسلام، متع الله بوجوده الأنام، في سائر الايام، بالنسبة إلى نفسه الشريفة، ورقمه بيده العفيفة في هذه الحجة الواضحة المحجة.

حرره الفقير الحقير محمد بن إبراهيم بن الحنبلي عفا الله عنه .
 - شهدت على مولانا وسيدنا العلامة الفهامة قاضي الشرع الشريف، الموقع خطه
 الكريم أعلاه، دام فضله وعلاه بما نسب إليه فيه من الثبوت.
 حرره الفقير الحسين بن عمر النصيبي .
 - وحضره الخواجا إبراهيم بن خضر المقرماني - والخواجا مرعي بن أحمد بن
 العلي - والخواجا إبراهيم بن حسين الاقصرائي - وسانن جلبي بن علي متولي جامع
 الكبير - ومولانا عيسى خليفة بن حسن - ومولانا الشيخ عمر بن عمر إمام القلعة -
 ومولانا جمال الدين بن شهاب الدين المتطبب .
 - والخواجا عطا الله بن الحاج محمد عين البندق - والخواجا أبو بكر ابن الحاج
 سيدي أحمد بن العلي - والحاج أبو بكر بن الحاج محمد الصيرفي - والشيخ قاسم بن
 أبي الفضل القادري المعبر - وسيدي عمر بن أبي بكر بن الموازيني - والحاج محمد بن
 الحاج يوسف الجابي - ومحيي الدين بن البابي - وحسن بن حسن الترجمان - والحاج
 ناصر بن رمضان - وسيدي محمد بن الحاج محمد - والحاج حسين بن الحاج حسن -
 وحسن خليفة بن بنا علي - وناصر بن الحاج معتوق الصاروي - ومولانا أبو الطيب بن
 الخشاب المدرس - ومولانا أبو البقاء بن مولانا الشيخ عمر بن المرعشي ناظر الأوقاف -
 والخواجا سنان بن كوندك - وكاتب الحروف العبد الفقير عمر بن محمد بن محمد بن
 العبري .

استبدال وقف بمارستان نورالدين

جاء في ظهر كتاب الوقف ما يلي:

هذه حجة صحيحة كتبت لأجل ضبط أوقاف المرحوم نورالدين الشهيد على
 بيمارستانه بحلب المحمية .

حرره الفقير يوسف

توقيع

سبب تحرير هذا الكتاب المرعي هو أنه استبدال في مجلس الشرع الشريف، ومحفل
 الحكم المنيف بالمحكمة الكبرى العلية بمدينة حلب المحمية لدى مولانا وسيدنا الحاكم
 الشرعي الواضع خطه الكريم أعلاه - دام علاه - فخر العلماء والمدرسين مولانا إبراهيم
 جلبي بن المرحوم مولانا الشيخ شمس الدين محمد الشهير نسبه بابن العمادي المتولي

يومئذ على وقف دار الشفاء للمرحوم نورالدين الشهيد طاب ثراه - الكائن بمدينة حلب المحمية لجهة الوقف المزبور، بإذن مولانا الحاكم المشار إليه أعلاه من فخر الأقران رمضان باك بن عبدالله المشهور بالمهردار الزعيم، الوكيل الشرعي فيما سيذكر فيه أمير الأمراء العظام، كبير الكبراء الفخام، ذي القدر والاحترام، المختص بمزيد عناية الملك العلام حضرة بهرام باشا بن المرحوم المغفور له مصطفى باشا - دام إقباله - فأبدله ما هو جار في ملك حضرة الباشا المشار إليه، وذلك جميع القاسارية الكائنة بمحلة ظاهر باب النصر بزقاق العدالة بحلب، المشتملة سبع حجرات وحوش ومنافع وحقوق شرعية، المحدودة قبله، بملك حنّا بن زريق النصراني، وشرقاً بدار الحاج أبي بكر المشهور بالدرفش، وشمالاً بطريق سالك، وغرباً بدار عبدالقادر بن هدية، وتمامه بالزقاق وإليه الباب. وجميع الدكان المعدّ للقصابة الكائن ببايقوسة، بقرب الجامع الكبير هناك، المحدود قبله بالجامع، وشرقاً بدكان جمال الدين المعروف بابن القوق، وشمالاً بطريق سالك وإليه الباب، وغرباً بدهليز الجامع المزبور، وجميع الدكان الكائن بسوق ساحة التون باغا بحلب المحدود قبله بدار الحاج علي بن المسمار، وشرقاً بدكان وقف مقام حضرة إبراهيم الخليل عليه السلام، وشمالاً بطريق سالك وإليه الباب، وغرباً بحائط بوابة المحلة، بجميع ما هو جار في الوقف المزبور. وذلك جميع الحصّة التي قدرها الثلثان من الدكاكين الخمسة المتلاصقات الكائنات بسوق الهوى، بالصف الشمالي بحلب، المحدودات قبله بطريقة سالك، وإليه الباب، وشرقاً بطريق سالك، وشمالاً بالمسجد المعروف بالجورة، وتمامه بالعدسة، وغرباً بملك حضرة الباشا المشار إليه، والثلث من الدكاكين الثلاثة المتلاصقات الكائنات بالصف المزبور، المحدودات قبله بطريقة سالك، وفيه الأبواب، وشرقاً بملك حضرة بهرام باشا المومى إليه، وشمالاً بالعدسة، وتمامه بمعصرة بني الدغيم، وغرباً بملك حضرة الباشا المشار إليه، استبدالاً وإبدالاً شرعيين بعد أن ثبت وظهر لمولانا الحاكم المومى إليه أعلاه، بشهادة جم غفير من المسلمين من جملتهم فخر الأقران يحيى جلبي بن الخواجة أبي بكر الشهير بابن العلي، والشيخ مسعود بن الشيخ أبي بكر بن خان: أن القاسارية والدكاكين المزبورين أكثر ريعاً وفائدة من حصص الوقف المزبورات، وأن في ذلك مصلحة ظاهرة، وغبطة وافرة بجهة الوقف المزبور على هذا التقدير شرعاً ثبوتاً شرعياً، فحكم الحاكم المومى إليه بصحة الاستبدال والإبدال المذبورين على قول من يجوزهما من العلماء المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين حكماً شرعياً فيه عالماً بالحال الواقع في هذا الباب بين الأئمة الأشراف.

تحريراً في أوسط محرم الحرام من شهور سنة إحدى وتسعين وتسع مئة. عبدالله جليبي بن الحلبي المدرس، وأخوه سيدي يحيى. أحمد باك بن حسين باك الجمالي. الشيخ مسعود بن أبي عمر بن خشان، سيدي أحمد بن تقي الدين، وغيرهم الفقير رجب.

المراجع

- أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. تأليف محمد راغب الطباخ، تحقيق محمد كمال، دار القلم بحلب، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م. أما الطبعة الأولى فكانت بإشراف المؤلف سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م.
- تاريخ البيمارستانات في الإسلام. تأليف د. أحمد عيسى بك، تقديم الأستاذ سعيد الأفغاني، جمعية التمدن الإسلامي ١٣٥٧هـ، ثم طبع مصوراً بدار الرائد العربي ببيروت سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- حلب القديمة والحديثة: أسماؤها وحكامها وأحداثها، أبوابها وأسواقها وأحيائها. تأليف عبدالفتاح رواس قلعه جي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- در الحبيب في تاريخ أعيان حلب. تأليف رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي المعروف بابن الحنبلي، تحقيق محمود الفاخوري، يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٢م.
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين. تأليف أبي شامة المقدسي، تحقيق أكرم البوشي، إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة. تأليف نجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق جبرائيل جبور، بيروت.
- موسوعة حلب المقارنة. تأليف خيرالدين الأسدي، حلب ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- نهر الذهب في تاريخ حلب. تأليف كامل البالي الحلبي الشهير بالغزي، تحقيق د. شوقي شعث ومحمود الفاخوري، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م. أما الطبعة الأولى فصدرت بإشراف المؤلف سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م.